من الإرهابي ؟!!!

يدعو كثيرون إلى محاربة الإرهاب، يجمعون الجموع، ويجندون الجنود، ويشترون الأسلحة، يستعدون الناس بعضهم على بعض؛ ما حرّك في نفسي رغبة البحث عن الإرهابي؛ لأحذر شره ولا أظن السوء بغيره، فمن هو؟.

أهو الضعيف الفقير العاجز المظلوم المضطهد؛ من سدت الأبواب دونه، وأقفلت الطرق في وجهه. فلا من يحنو عليه ويرفق به؟ يطرح في السجن سنوات، فلا يطلق سراحه، ولا يحاكم محاكمة عادلة، ولا يعامل معاملة إنسان، له حقوق وعليه واجبات؟ بأي حق تقيد حريته ويمنع عن حاجاته كإنسان؟ يمنع برّ والديه، وتربية أولاده، ورعاية زوجه، وصلة رحمه، والمساهمة في تنمية وطنه كسائر المواطنين.

أم هو الصائم المصلي ما إن يخرج من المسجد حتى يعود إليه، ما إن يختم القرآن حتى يبدأه، ليله عبادة، ونهاره طاعة، شغله الشاغل حب الناس. لا يقصّر في إرشادهم إلى ما فيه صلاحهم في عاجل أمرهم وآجله، يدعوهم إلى مكارم الأخلاق، يحذرهم الكفر بالله والنفاق ومساويء الأخلاق، يدعوهم إلى التعاون والتناصح والتناصر، يصوب مسارهم، ويقوّم ما أعوج من أخلاقهم؛ فيكونون على اتقى وأنقى قلب؟ أم هو المتسلط المتكبر الذي يرى نفسه الأتقى والأقوى؟ ينظر إلى الناس من عليّ، لا يعجبه من خلق الله إلا نفسه، ولا من الآراء إلا رأيه، ولا من الأقوال إلا قوله، قوله صواب، وفعله إصلاح، يجوز له بنظره أي شيء، ولا يسمح لغيره بشيء. يدخل البلاد متى شاء، ويتسلط على الخلق كيف شاء.

نظرة منصف يرى الأمور على حقيقتها: بيّن بوضوح، الناس كل الناس أصلهم واحد: التراب ومنه خلق الله آدم وزوجه وعنهما تفرع الناس، على هذا اتفقت الرسالات. إقرأ سفر التكوين – إن شئت – أو إقرأ القرآن ترى أن الحق واحد لا يتعدد.

إن ما دعا إليه محمد ﷺ من الوصايا العامة التي تحمي المجتمع من الفساد كتحريم الظلم والبغي والعدوان، وإقامة العدل واحترام المخالف، وحماية الطبيعة من ظلم الناس، هو ما دعا إليه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. راجع القرآن وأسفار العهد القديم: أسفار موسى الخمسة، والأناجيل الأربعة، تعلم أن الله كلف خلقه عمارة الأرض: استصلاحها، تنظيفها، وإبعاد كل ما من شأنه الإساءة إليها، أو إلى أحد من خلقه، وذلك كله عين مصلحة الناس، كل الناس في كل زمان ومكان.

إذا كان ذلك كذلك، فعلام يعدو بعضنا على البعض، ويسيء بعضنا إلى بعض، ويظلم بعضنا بعضاً، علام الظلم والبغي والعدوان، وترويع الآمنين، وقطع السبل عليهم حتى غدا أبناؤنا على أبواب السفارات يستجدون عملاً خارج البلاد، يؤمن ما يغنيهم عن الناس، يسد حاجاتهم، يكفيهم ذل السؤال، يجهد الآباء في تعليم أبنائهم ليكونوا عوناً لهم فيفقدونهم، وهم في أمسّ الحاجة إليهم، وتفرغ البلاد من المتعلمين، فيفشو الجهل وينتشر الظلم، ولا من يرفعه، يشكو المظلوم فلا يجد من يقف إلى جانبه، ولا من ينصفه؛ سدت الأبواب في وجهه، وقطعت الطرق، فرأى في الخارجين على السلطة مثالاً يقتدى به، إذا رآهم مهابين يحققون ما يريد، ففكر أو حاول فألقي في غياهب السجن.

قالوا: وينشأ الفتى على ما كان عوّده أبوه، فالطفل كالصحيفة البيضاء، نكتب عليها ما نشاء، والقدوة أقوى أثراً من الكلمة، تحفر في الذاكرة، لذلك رأيت القرآن يخص بالرعاية: الصغير والضعيف، ومن لا أب له. يحمِّل المجتمع المسئولية عنهم؛ لأن صلاحهم صلاحه؛ ولأنهم عماده وأساسه، فإذا أهملنا الطفولة والنشأ فشا الظلم والفساد في المجتمع، فإذا أضيف إلى ذلك البغي والقهر والتسلط، حرّك في نفس المقهور الرغبة في تحصيل ما فاته، ويقوي ذلك رؤية جماعة تتخطى القانون، ولا تحاسب، ترتكب المخالفات، وإذا دخلت السجن خرجت لعدم كفاية الأدلة، فيقلدها؛ فيزج به في السجن، ولا يحاكم ولا يحاسب، ولا يطمع في عفو؛ لأن التهمة لبسته، فلا يستطيع أن يتبرأ منها أو يتخلى عنها، ولا من السياسيين من ينظر إليه أو يعطف عليه.

هذا هو السبب في ظهور الإرهاب في مجتمعاتنا العربية، ماذا ننتظر من أطفال لبنان، وسوريا، والعراق، واليمن، أطفال وشباب ظُلموا، وقُهروا، وجاعوا، واحتاجوا إلى من ينصرهم، ويدفع عنهم؛ فلم يجدوا فاجتالتهم الشياطين، فأوقدوا نار الحرب، فانتشر الفساد والظلم.

فالإرهابي صناعة محلية، أفاد منها شياطين الأنس، فجعلوا منها وسيلة لتخريب المدن الإسلامية القديمة: بغداد والكوفة والبصرة وحلب وحمص وبيروت.

والفتيان والفتيات يشاهدون ويسمعون، وما رافقه من شحن واستعداء، ونظر إلى المسلم نظرة غير مرضية. كل ذلك وغيره ولّد إرهابياً، غذّاه المجتمع، وقواه الظلم. والدين ما دعا يوماً إلى الظلم والتسلط، ولا أنتج إرهاباً. يصدق كلامي القول المأثور: لكل فعل ردّ، أي انفعال، وعلاج الإرهاب إنما يكون بإزالة أسبابه ... فاللهم وفقنا.